دور مكتبة الإسكندرية فى صناعة النشر(*)

د / حسناء محمود محجوب
أستاذ المكتبات المساعد - بكلية الآداب جامعة المنوفية
Email : hmmahgoub@yahoo.com

المقـــدمة:

يقـتـــرن اسم الإسكندرية باسم الإسكندر المقدونى الذى أسسها عام ٣٣٢ ق.م. لتكون مركزا للحضارة اليونانية فى مصر، وقد أصبحت بالفعل من أعظم مراكز الحضارة اليونانية، حتى أن اسمها أصبح يطلق على نوع معين من الحضارة، فكانت مركزا لأدب سكندرى خاص ومركزا لفن سكندرى له طابعه الخاص.

ورغم أن حضارة الإسكندرية تعد امتدادا لحضارة أثينا، إلا أنها سرعان ما اكتسبت الصفات الخاصة بها، والتى ساعدها فى ذلك موقع مصر الجغرافى وازدهار الحضارة المصرية القديمة، والازدهار الاقتصادى التى كانت تتمتع به فى ذلك الوقت والتى جعلت الإسكندرية تحتل المركز الأول للحضارة الهلينستية، حيث اتخذها البطالمة مركزا للإشعاع الثقافى فى العالم الهلينستى.

وكان بطليموس الأول أول من وجه عنايته لتحقيق هذا المركز الثقافى والحضارى للإسكندرية، فعهد إلى ديمتريوس الفاليرى - أحد الساسة الأثينيين - تأسيس مكتبة حكومية للإسكندرية، تقوم إلى جانب وظيفتها الكبرى بوظيفة الجامعة العلمية التى يتوافد إليها العلماء والمفكرون من كافة أنحاء العالم الهلينستى أمثال كاليماخوس الشاعر وهيروفيلوس الطبيب والجراح وهيارخوس الفلكى.

وبعد مرور حوالى خمسون عاما على إنشائها تولدت من مكتبة الإسكندرية مكتبة أصغر منها أنشئت فى هيكل السيرابيوم، وقد أطلق على المكتبة الأولى المكتبة الأم والتى كانت فى حى البروكيوم Brucheum، أما المكتبة الجديدة فسميت بالمكتبة الابنة وكانت فى معبد الإله سيرابيس Serapes، وأصبحت تدعى سيرابيون. وبقيت مكتبة الإسكندرية أكثر من قرنين من الزمن مركزا للحياة الثقافية للعالم الهلينستى، إلى أن تعرضت لأول كارثة على يد يوليوس قيصر، حيث احترقت سنة ٤٧ ق.م.

ويحدثنا التاريخ بأن هناك علاقة متبادلة ومثمرة بين إنتاج وتوزيع الكتاب وبين المكتبات، ففى نهاية القرن الرابع ق.م. وبداية القرن الثالث ق.م. ازداد عدد الكتب المتداولة، وتحولت المدن الكبرى مثل الإسكندرية إلى مراكز ثقافية مهمة وقوية تساعد على إنتاج الكتاب والإتجار به.

فهل بالفعل كان لهذه المكتبة التى حولت المدينة التى أنشئت فيها إلى مركز إشعاع حضارى لجميع أنحاء العالم اليونانى دور أساسى فى

(*) قدمت فى المؤتمر القومى السادس لأخصائيى المكتبات والمعلومات فى مصر - الاسكندرية ٢٠٠٢.

تدعيم دور الكلمة المكتوبة كوسيلة ناقلة للمعارف الإنسانية؟!

ومن هذا التساؤل تأتى أهمية هذه الدراسة فى إبراز دور مكتبة الإسكندرية فى صناعة النشر، ولا نقتصر هنا على مجرد أسلوب التسجيل كأحد أساليب منهج البحث التاريخى الذى يقوم بسرد ووصف الواقعة التاريخية كما وقعت وكما وصلت إلينا من خلال المصادر التاريخية، ولكننا نسعى إلى أسلوب التأويل والتفسير معتمدين إلى جانب المصادر والوثائق التاريخية على الأدلة العقلية التى تحلل وتفسر الظاهرة التاريخية، وذلك بهدف الاستفادة من هذا التفسير فى التخطيط للواقع والمستقبل، ومن هنا فإن هذه الدراسة وضعت لها أهداف تتلخص فى النقاط التالية :

١ ـ رصد وتصوير حركة النشر فى زمن مكتبة الإسكندرية القديمة.

٢ ـ إلقاء الضوء على دور مكتبة الإسكندرية القديمة فى صناعة النشر.

٣ ـ وضع تصور للنشر الذى يجب أن تتولاه مكتبة الإسكندرية الجديدة.

٤ ـ إلقاء الضوء على أهمية وجود قطاع خاص للنشر ضمن القطاعات التى تتكون منها مكتبة الإسكندرية الجديدة.

النشر قبل مكتبة الإسكندرية:

مكتبة الإسكندرية بناها اليونان على أرض مصر، لذا فكان لابد لنا أن نتعرف على النشر فى مصر القديمة وفى بلاد اليونان.

١ ـ النشر فى مصر القديمة.

مصر هبة النيل، وهبها الله هذا النيل العظيم ليكون أساس الحياة على هذه البقعة المباركة من العالم، وبدوره أمد النيل مصر بخيرات كثيرة منها ـ فى نطاق موضوعنا هذا ـ البردى أعظم مادة للكتابة عرفتها مصر وصدرتها للعالم، وكذلك أعواد الغاب (البوص) مادة لأقلام الكتابة، كما وجدت أيضا على ضفافه أشجار السنط أهم مكونات الحبر (الصمغ)، وهكذا استفادت صناعة النشر أكبر استفادة ممكنة من هذا النيل العظيم فى جلب المواد الخام التى تعتمد عليها صناعة الكتاب، كما حافظ مناخ مصر الجاف على الكتاب المصرى أطول فترة ممكنة.

١/١ عناصر تصنيع الكتاب:

امتلكت مصر الفرعونية عناصر تصنيع الكتاب وهى :

• الكتابة:

من المعروف أن اختراع الكتابة فى تاريخ البشرية بدأ فى مصر الفرعونية وفى الحضارة السومرية بالعراق وعند الكنعانيين فى فلسطين، وبدأت الكتابة فى مصر قبل الميلاد بحوالى ٣٠٠٠ سنة، وقد طورها المصرى القديم من الهيروغليفية والديموطيقية والهيراطيقية. ودون المصرى القديم كتاباته على جدران المعابد والمقابر وألواح الخشب قبل استخدام ورق البردى، كما احتكرها الكهنة لأنفسهم آلاف السنين واعتبروها أسرارا مقدسة، ولكن مع مطلع الألف الثانية قبل الميلاد كانت فى مصر طائفة من الكتاب مستقلة عن المعابد والكهنة.

• مواد الكتابة:

أمد نيل مصر ـ كما سبق القول ـ صانع الكتاب بالمواد اللازمة لصناعته ومنها.

* البردى : كان قدماء المصريين أول من استخدموا المادة الورقية فى الكتابة، وقد استخرجوا تلك المادة من ألياف نبات البردى بعد أن كانوا يستخدمونه فى الوقود والسلال والحصر وبناء المنازل والقوارب والحبال، واشتهر الكتاب المصرى بأنه لفافة من البردى.

* أقلام البوص : استخدم المصرى القديم ساقا من الغاب فى كتاباته عرف بقلم الغاب (البسط) كان يبرى بريا مائلا لتسهيل الكتابة، وتراوح طوله ما بين ١٦ - ٢٥ سم. وتوضع الأقلام فى مقلمة مقسمة إلى خانات من الخشب أو المعدن يشبه غطاءها جريدة النخلة، وكانت المسطرة تتساوى فى الأهمية مع قلم البوص ولا غنى عنها فى ترتيب السطور والصفحات.

* الحبر : كان يصنع من السناج أو فحم الخشب مخلوطا بالماء والصمغ، وكان الحبر والألوان يطحنان فى هون مصنوع من المعدن أو الحجر ويعبأ فى أكياس صغيرة.

* القائم بالكتابة أو وظيفة الكاتب المصرى القديم.

أقدم كاتب وصلتنا صورته فى العصر الفرعونى هو (هيساير) كاتب البلاط الرسمى فى الأسرة الرابعة، وكانت وظيفة الكاتب ذات مكانة رفيعة، لذلك حاول القدماء تخليدها عن طريق الصور والتماثيل، كما أقام القدماء مدارس لتعليم فن الكتابة، وتتم عملية تعليم الكتابة عن طريق الإملاء أما التدريب على حرفة الكتابة كانت تأتى بممارسة نسخ الحروف والنصوص وتعليم أخلاقيات المهنة.

١ / ٢ أنواع الإنتاج الفكرى الذى سجله المصرى القديم :

* قوائم الطعام والملابس والمراهم التى يقترحها الكهنة للموتى ويعتقدون فى احتياجهم إياها فى الآخرة، وكانت تكتب على جدران المعابد والمقابر والأعمدة التذكارية.

* نصوص الصلوات مشفوعة بقائمة إنجازات المتوفى، وهى أشبه بسيرته الذاتية، وكتبت أيضا على جدران المقابر والمعابد، ووجد نسخ منها أيضا على أوراق البردى، وبعضها وضع لها عناوين مثل تعاليم الحكمة أو التعاليم.

* التراتيل الدينية والأغانى الدنيوية.

* القصص التى تمثل أنواعا من الأدب الخفيف وقد وصلتنا بعض هذه القصص مثل قصة سانيبات، خطف جوبا، شكاوى الفلاح الفصيح، ملاح السفينة المحطمة.

* الأغانى الشعبية التى تعرف باسم أغانى الميناء وأغلبها كان يصور الموت والحياة الآخرة ويمجدها.

* الإنتاج الأدبى الذى شاع استخدامه فى القرون الأخيرة من التاريخ المصرى، وتنوعت فيه الكتابات ما بين النثر والشعر والخطابة.

* الإنتاج الفكرى فى مجال العلوم مثل الفلك، التنجيم، التقاويم، السحر، الطب، الزراعة... إلخ. فوصلنا على سبيل المثال برديتان رياضيتان اكتشفت إحداهما فى طيبة، وهى عبارة عن رسالة فى المساحة المستوية وقياس الجوامد. ويذكر لنا التاريخ أيضا بردية أيبرز الشهيرة فى الطب التى تشتمل على ٢٤٠٠ سطر وتعالج موضوع الجراحة والطب مع التركيز على أمراض العيون. وكذلك بردية فى

مجال القانون تسمى بردية أمهرست تشتمل على وصف لقضية تشريعية فى طيبة.

* كتاب الموتى أول كتاب يباع بصفة منتظمة فى العالم وأول كتاب يطبع بمستويات حسب فئة المشترى، ورغم أن كثيرا من النسخ كانت تعد بصفة خاصة، إلا أن هناك نسخ أكثر كانت موجودة فى مخازن النساخ مع وجود فراغات يندرج فيها اسم الشخص المتوفى.

وباختصار إن الحضارة المصرية آمنت بأهمية الكلمة المكتوبة وتواصل المعلومات عن طريق الكتابة، ويدلنا على ذلك بناء رمسيس الثانى لمكتبة عظيمة ألحق بها مدرسة ووصفت بأنها جامعة المكتبة وألحق بها مصنعا لورق البردى وعين بها نُساخا يقومون بنسخ الإنتاج الفكرى

٢ ـ النشر فى بلاد اليونان.

تختلف الحضارة اليونانية عن الحضارة المصرية القديمة فى أنها كانت تنقل شفاهة، فكانت قصص الأوديسة والإلياذة وغيرهما يمثلها الإغريق على المسارح فى الهواء الطلق، كما كان الطلاب يناقشون النظريات العلمية والفلسفية فيما بينهم شفاهة، وكان الشعر والأدب يلقى فى الأماكن العامة. ولم ينتقل الإغريق من عصر الكلمة المنطوقة إلى عصر الكلمة المكتوبة إلا تحت تأثير قوى من الحضارة المصرية، ولذلك يمكننا الخروج بالنقاط التالية حول هذا الموضوع

* بعد انهيار اليونان وقيام الإمبراطورية الرومانية أصبحت روما هى مركز الثقافة اليونانية.

* أصبح النشر فى روما صناعة منظمة وعظيمة.

* كان الناشر يعين موظفين أكفاء ومدربين تدريبا عاليا لكى يكونوا قادرين على إنتاج الكتاب بسرعة وبالأعداد الكبيرة المطلوبة.

* استخدم العبيد كنساخين وكان أغلبهم من اليونان، وكانت أسعارهم منخفضة، ثم بدأت معدلاتها فى الارتفاع فأثرت على أسعار الكتب التى غلى ثمنها بسبب العمالة.

* كانت الأعمال الناجحة تباع ليس فى روما فقط، ولكن فى جميع مقاطعات الإمبراطورية الرومانية.

* ساعدت المكتبات الكثيرة التى أنشأها الرومان على زيادة مبيعات الكتب.

* كان الناشر يسجل جميع النسخ المباعة وكذا المهداة فى سجلات خاصة.

* كانت تجارة المخطوطات الأصلية معروفة لدى تجار الكتب الذين زاد عددهم فى العصر اليونانى الرومانى.

* أهم مواد الكتابة التى استخدمت هى الألواح الخشبية والرق والبردى.

* أهم الموضوعات التى وصلتنا كانت تغطى الأدب والشعر والتراجم والقصص.

مكتبة الإسكندرية وحلقات صناعة النشر

تقوم صناعة النشر على ثلاث حلقات أساسية هى التأليف والتصنيع والتوزيع بالإضافة إلى الحلقة الرابطة التى تربط وتجمع الحلقات الثلاثة السابقة معا وهى حلقة الناشر.

ومكتبة الإسكندرية أسسها ديمترى، وهو

رجل دولة وكاتب وتلميذ تيوفرات الرواقى وممثل النخبة المثقفة فى أثينا، وقد وجد فى الإسكندرية ما كان يفتقده فى أثينا، حيث الحكام الأقوياء والأغنياء والمتعلمين، والمكان الذى تتداخل فيه أعظم حضارات العالم القديم (الحضارة المصرية القديمة - الحضارة اليونانية - حضارة بلاد الرافدين) فجعل من مكتبة الإسكندرية حلقة تغذى صناعة النشر.

وإذا كانت النصوص المكتوبة عن صناعة النشر فى العصر القديم غير موجودة ولم يصل إلينا إلا بعض الكتابات التى استنتجها أصحابها من موضوعات قريبة الصلة بموضوع النشر، فسأحاول أن أدلو بدلوى للخروج بتصور لعملية صناعة الكتاب ودور مكتبة الإسكندرية فى هذه الصناعة منذ تأليفه إلى وصوله فى يد القارئ.

أولا: التأليف:

جمع البطالمة ابتداء من بطليموس الأول ومن بعده من الملوك أكبر علماء العصر فى البلاط المصرى، منهم شعراء وفلكيين ولغويين ومؤرخين وعلماء فى كافة التخصصات، ولم يجد كل هؤلاء المغريات المادية التى يجود بها البطالمة من خزينة الدولة فقط، بل وجدوا أيضا المناخ المناسب الذى يدفعهم إلى العمل والإبداع، ويوفر لهم الشروط الضرورية لتقديم الإنجازات الثقافية. فعلى سبيل المثال يقال أن (إسترابون) قد أقام خمس سنوات فى بناء الموسيون لتأليف كتابه فى الجغرافيا، وقد وصف هذا البناء بأنه جزء من القصور الملكية، ويشتمل على متنزه ورواقه به مقاعد، وبيت كبير به قاعة لاجتماع العلماء أعضاء الموسيون.

إن هذا الجمع من العلماء ساعد على دراسة الآداب اليونانية دراسة منظمة، وتوثيق النصوص عن طريق النقد اللغوى والتاريخى، وبحث مشاكل أصالة الكتب ونسبتها إلى مؤلفيها، ووضع تحديد لأقسام العلوم ومداها... إلخ من أشكال التأليف. وكان العلماء يذهبون إلى القاعات العشر للمكتبة يستخدمون الكتب ويتناقشون فى القضايا التى يختلفون حولها. فكانت لكل وسائل الراحة التى توفرها المكتبة بملحقاتها أكبر الأثر فى اجتذاب العلماء والباحثين من جميع أنحاء العالم القديم.

إن الاهتمام بالتأليف والعلماء هو الذى أعطى للمكتبة وملحقاتها قيمتها، فقد كان الفاليرى يختار هؤلاء العلماء بعناية ممن يتمتعون بقدرة كبيرة على نشر الثقافة الأدبية والعلمية ونقلها إلى العاصمة الجديدة، كما أن البطالمة سلكوا لترغيبهم فى ذلك شتى الطرق لدرجة أنهم (البطالمة) أوقفوا على الموسيون ملكية خاصة، وكانت إقامة العلماء فيه مكفولة لهم، كما كان كل عالم يمنح راتبا سخيا منتظما، وكانت هذه الرواتب تدفع من المنح الملكية، كما كان لهؤلاء العلماء امتيازات أخرى منها الإعفاء من الضرائب والإعفاء من الأعمال العامة التى كان المواطنون يلزمون بها بالإضافة إلى توفير كافة الكتب اللازمة لهم للبحث والاطلاع.

ومن المشهود لمكتبة الإسكندرية حفاظها على الملكية الأدبية، حيث اهتمت بالنصوص الأصلية الصحيحة للمؤلفات الأدبية وغيرها، فقد كان الفلاسفة والعلماء يجتمعون فى المكتبة ويقارنون مختلف النسخ التى جمعت للعمل

الواحد من أرجاء العالم اليونانى، لكى يعتمدوا نسخة واحدة تكون مصدرا للنسخ منها، فقد كان من المعروف فى العصور السابقة للعصر الهلينستى - كما سبق القول - أن النصوص تنقل شفاهة، فكان ذلك يسمح لكل فرد ناقل لهذه النصوص أن يضيف إلى النص الأصلى أو يحذف منه شيئا كما يريد.

وبالتأكيد لم تذهب جهود البطالمة فى مجال التأليف هباءً، فقد توافد على المكتبة علماء وأدباء ومفكرين من جميع أنحاء العالم، ومنهم على سبيل المثال (إقليدس) عالم الهندسة ومؤسس البحث العلمى و (هيروفيرلوس) عالم التشريح ومكتشف الجهاز العصبى و(استراتوس) عالم فى مجال وظائف الأعضاء و (إسترانون) أبرز علماء الحيوان والنبات. وقد بلغ من قوة السمعة العلمية العالمية لمكتبة الإسكندرية وملحقاتها أن ذكر المؤرخ (إمياتوس ماركلينوس) مشيرا إلى هذه القوة (أن خير تزكية كان فى إمكان أى طبيب أن يحصل عليها هى أن يقال عنه أنه أتم دراسته فى جامعة الإسكندرية).

ساعد تجمع العلماء هذا على مد حركة النشر بإنتاج فكرى لا ينفذ، وتتلخص روافد هذا الإنتاج فى ثلاثة مصادر: تحقيق التراث القديم وتدوينه - فكما سبق القول - لم يعرف الرومان الكلمة المكتوبة إلا من الحضارة المصرية وما وصلوا إليه بالفتوحات والتوسع فى الإمبراطورية الرومانية، فوجدوا أمامهم تراثا ضخما لابد من الوقوف عليه وتحقيقه وإمعان النظر فيه. المصدر الثانى الترجمة، حيث حرص الإسكندر الأكبر ومن بعده على نقل ثقافات الشعوب إلى اللغة اليونانية. المصدر الثالث جاء التأليف الجديد، فالإنتاج الفكرى للثقافة الهيلينية جاء نتاج ثقافات وفكر الشعوب المفتوحة يضاف إليها بالطبع الثقافة اليونانية الأصلية.

ثانيا: التصنيع:

وكما سبق القول فإنه كانت فى مصر حضارة تنقل مكتوبة وليست شفاهة كما بدأت فى اليونان، وكان للمصريين إنتاج وافر من الكتابات فى ميادين العلم والأدب، حيث إن مصر هى مصدر مادة الكتابة القديمة، البردى، فوفرت بذلك أول عناصر مرحلة التصنيع وهى مواد الكتابة. والإسكندرية منذ إنشائها أصبحت الميناء الذى تأتى إليه السفن من جميع البلدان، وخاصة بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط للتزود بالبردى، وأن هذه المادة جعلت الإسكندرية تزدهر اقتصاديا، حيث فرض البردى نفسه كمادة للكتابة أمام المواد الأخرى التى تواجدت فى هذا العصر كالرق لرخص أسعاره وقابلية إنتاجه بكميات كبيرة، فصعب على أية مادة أخرى أن تلبى احتياجات السوق المتزايدة فى عصر الإمبراطورية الرومانية التى اهتمت بإنشاء المراكز الثقافية والعلمية.

وتحكى لنا المصادر التاريخية أن البطالمة استغلوا مادة البردى لتضييق الخناق على المكتبات المنافسة لمكتبة الإسكندرية فى ذلك الوقت، وخاصة مكتبة برجامة وذلك بإصدار أمر يحظر تصدير البردى من مصر، فى الوقت الذى لم يكن السوق قادرا على مد الراغبين فى الشراء بما يكفيهم وما يلزم لنسخ عدد كبير من المخطوطات تحتاج إلى كميات ضخمة من أوراق البردى لابد من استيرادها من مصر.

العنصر الثانى المهم فى مرحلة التصنيع هو الأيدى العاملة، وقد جلب البطالمة الكثير من الناسخين والمصححين والمنقحين الذين أحيانا ما يكتبون نقدهم وملاحظاتهم على هامش الصفحة، إلى جانب أمناء المكتبة الذين كانوا يشرفون على نسخ المؤلفات ووضع الفهارس الخاصة بها، ويقال أنها كانت تعطيهم مرتبات مجزية.

فقد كان هدف البطالمة واضحا عند تأسيس المكتبة، حيث أرادوا أن يجمعوا كل التراث العلمى والأدبى الذى كان قد أبدعه حتى ذلك الوقت اليونانيون وكل الشعوب الأخرى التى أصبحت بعد فتوحات الإسكندر تحت تأثير الثقافة الهيلينية، ولأجل هذا كانت الكتب تشترى بأى ثمن حسب خطة منظمة وتجمع المخطوطات من أماكن كثيرة مثل أثينا ورودوس وحتى من آسيا الصغرى فى الشرق ومارسيليا فى الغرب، أما الكتب التى لم يكن فى الإمكان شراؤها، فقد كان النساخ الذين جلبوا إلى المكتبة يقومون بنسخها.

وقد نقلت لنا كتب التاريخ حكايات عن عملية النسخ هذه، حيث ذكرت أن الموظفين الحكوميين كانوا يفتشون السفن الراسية فى ميناء الإسكندرية ويأخذون كل ما يجدوه من كتب إلى المكتبة، حيث يقوم فريق النساخ بنسخها بسرعة ويتم الاحتفاظ بالأصل فى المكتبة وتسلم النسخة الجديدة لصاحب الكتاب.

كما تذكر المصادر التاريخية أيضا أن المكتبة قامت باستعارة أعمال مؤلفى التراجيديا الثلاثة العظام من أثينا واحتفظت بالنص الأصلى وأعادت نسخة منه فقط إلى أثينا.

وبوجه عام كانت عملية النسخ تتم بدقة ومهارة من جانب الناسخين بالمكتبة، وذلك على عكس عملية النسخ التى كانت تتم عند الناشرين، حيث نجد الكثير من المؤلفين يشتكون من أخطاء النساخ غير الأكفاء الذين يحتفظ بهم بعض الناشرين، فهم لا يحرصون على دقة النسخ لدرجة أن أحد المؤلفين كتب فى نهاية كتابه رسالة موجهة إلى الناسخ (باسم المسيح. . . أرجوك يا أيها ناسخ هذا الكتاب أن تقارن المخطوطة المنسوخة بحرص وأن تطابقها مع الأصل الذى نسخت عنه).

ثالثا: التوزيع:

كانت النسخ التى ينسخها النساخ بالمكتبة من أفضل النسخ، وذلك لمهارة النساخ والمصححين والمراجعين الذين تختارهم المكتبة، وكانت هذه النسخ تطرح للبيع وتنال إقبالا كبيرا من المشترين، جعل من الإسكندرية مركزا لاحتكار تجارة الكتب وظل هذا الاحتكار حتى أيام قيصر.

لقد ساعد وجود مكتبة الإسكندرية على بروز وظيفة ودور الناشر، فمن المعروف أن المؤلفين الأغنياء كانوا يحتفظون فى بيوتهم بنساخ محترفين يقومون بنسخ كتبهم وتوزيعها على الأصدقاء أو بيعها فى السوق، فكان المؤلف يقوم بدور الناشر حين كان الطلب على الكتاب لا يزال محدودا، ولكن بإنشاء مكتبة الإسكندرية التى ساهمت فى زيادة الطلبات على إنتاج الكتاب حتم بروز دور الناشر الذى يتولى مهمة إصدار الكتاب وتوزيعه، وكان الناشر يروج لكتبه عن طريق قوائم وكشوف

وإعلانات توضع على واجهات متاجرهم، أو كانوا يبعثون بها مباشرة إلى مراسيلهم فى المدن الكبيرة فى الإمبراطورية.

وإذا كان من الصعب حساب عدد النسخ المخطوطة أو حتى تكوين صورة تقريبية عن هذا العدد، إلا أنه من الملاحظ أن إنشاء مكتبة الإسكندرية قد ساعد على ازدياد عدد النسخ المخطوطة إلى درجة أنها وصلت فى بعض المؤلفات للمؤلفين المشهورين ٥٠٠ نسخة وأحيانا ما يقرب من ألف نسخة.

ولم يقتصر ازدياد التوزيع على النسخ التى تنسخ بالمكتبة فقط، فقد تضخم دور باعة الكتب كوسطاء بين الناشرين والمشترين، وذلك لأن المكتبة ساعدت على توسع سوق الكتاب، وأصبحت الإسكندرية كمدينة أكبر سوق للكتاب فى ذلك الوقت، وذلك نظرا لوجودها فى دلتا النيل التى ينمو فيها البردى وتزود به ورش ودكاكين النسخ فى أى وقت وبأية كميات، الشىء الذى لم يكن متوفرا فى أى مركز أخر فى حوض البحر الأبيض المتوسط.

وإذا اعتبرنا أن القراءة العلنية وفن الإلقاء التى كان يمتاز بها اليونانيون فى العصر القديم- كوسيلة للتعرف على الأعمال الفكرية، بل أحيانا كوسيلة وحيدة للحكم على مصير الكتاب من خلال تأييده أو نبذه- نوع من أنواع الدعاية والإعلان عن الكتب. فإن مكتبة الإسكندرية التى ساعدت فى تدعيم مكانة الكلمة المكتوبة قد سهلت تواجد الأماكن لممارسة القراءة العلنية، كما أنها عملت على زيادة المناسبات التى تؤدى فيها هذا النوع من القراءة.

النشر الذى تولته مكتبة الإسكندرية القديمة.

إن إنشاء مكتبة الإسكندرية التى احتلت مكانة خاصة بين مكتبات العصر الهلينستى يعتبر أهم حدث على الإطلاق فى تاريخ المكتبات فى العصور القديمة، ويبدو أن الملوك البطالمة قد خصوا المكتبة بأموال ضخمة لتحقيق غايتهم فى جمع أدب اليونان كله، فقد ضمت ما يقرب من نصف مليون كتاب، وقام على العمل فيها رجال عظام مثل كاليماخوس وأبو لوانيوس الروديسى وأرستاخوس وغيرهم

إن الحركة الثقافية العلمية لمكتبة الإسكندرية قد تقدمت فى اتجاهين أساسيين أحدهما هو صيانة ودراسة التراث العقلى المنحدر من الماضى، والثانى القيام بأبحاث علمية أساسية بهدف توسيع آفاق المعرفة وكشف قوانين الكون العلمية، ومن هنا فلم يقتصر دور المكتبة على مجرد جمع التراث وتنظيمه بحيث يسهل تداوله واسترجاعه ويكون فى متناول الدارسين والباحثين، ولكنها قامت بنشر أشكال من الإنتاج الفكرى فرضت نفسها على صناعة النشر فى هذا العصر ومن أهم هذه الأشكال :

• الأعمال المرجعية:

تقع الببليوجرافيا فى قمة هذه الأعمال التى تولت مكتبة الإسكندرية القديمة إصدارها، وقد ظهرت الحاجة إلى صدور هذا الشكل من الإنتاج الفكرى، حين اتسعت الإمبراطورية اليونانية فى العصر الهلينستى وظهرت المراكز الثقافية الكبيرة فى أنحاء متفرقة من العالم اليونانى والتى منها الإسكندرية، فساهمت هذه المراكز الثقافية الجديدة والمتفرقة فى ازدياد إنتاج

الكتب، ولم يعد يكفى للمرء الذهاب إلى ساحة المدينة التى يعيش فيها - حتى إذا كان يعيش فى أثينا أو روما - ليتعرف على الجديد فى سوق الكتب والمؤلفات.

وقد أدى تعطش العلماء والأدباء والعاملين فى المكتبات وهواة جمع الكتب إلى وجود أداة تحصر الإنتاج الفكرى الصادر فى ذلك الوقت إلى ظهور هذا النوع من الأعمال المرجعية ألا وهو الببليوجرافيات.

وأول من فكر فى تأليف كتاب من هذا النوع هو كاليماخوس مدير مكتبة الإسكندرية، حيث استفاد من مجموعة المقتنيات فى المكتبة ليؤلف كتابه الشهير (بيناكس) فى ١٢٠ مجلدا، والذى كان يعتقد أنه ألفه لكى يستخدم كفهرس للمكتبة، وبصرف النظر عن أن كاليماخوس أراد منه أن يكون فهرسا أم لا، أو أنه يكون قد استخدم بالفعل كفهرس للمكتبة. فمن الواضح أن الهدف من هذا العمل ليس مجرد وسيلة لاسترجاع الكتاب من الرف، بل إنه استخدم كمصدر بيو - ببليوجرافى عن كل الكتب التى ألفت وليست الموجودة بالمكتبة فحسب وعن كل المؤلفين الذين ألفوا هذه الكتب، وذلك لأن كاليماخوس لم يكتف فى مؤلفه بذكر الكتاب، بل كان يقدم معلومات عن المؤلف أيضا، كما كان يضيف ملاحظاته النقدية عن الكتاب، ومن هنا يصنف هذا العمل على أنه مرجعا بيو - ببليوجرافيا لكل الأدبيات اليونانية وليس فهرسا لإحدى المكتبات.

• الأعمال المترجمة:

نجد على سبيل المثال ترجمات يونانية لمؤلفات يهودية ومصرية (مثلا للمؤرخ المصرى مانيتو من القرن الثالث ق. م الذى كان يكتب باللغة اليونانية)، ثم ترجمات لمؤلفات كتاب بابليين وفارسيين... وغيرهم وحتى مؤلفات للكتاب من الهند البعيدة.

وأشهر حادثة ترجمة ذكرتها لنا المصادر التاريخية هى أن بطليموس الأول طلب من سكان القدس موافاته بمخطوطاتهم مترجمة إلى اللغة اليونانية، وقد أرسلوا إليه سبعين شخصا من أكثر الناس دراية بالكتاب المقدس والمتمكنين من اللغتين العبرية واليونانية، وأراد بطليموس أن يختبر هؤلاء المترجمين فطلب منهم أن يقوموا بالترجمة منفردين وحتى لا يخفوا شيئا من حقائق الكتاب المقدس (التوراة) أو يقوموا بتحريفها.

وقد اشتهرت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية نسبة إلى عدد المترجمين الذين اشتركوا فيها، كما تعد هذه الترجمة من أشهر التراجم للكتب التى ترجمت إلى اليونانية وهى تعتبر أيضا أوثق نص للتوراة.

• الأعمال المحققة:

كان بالمكتبة حلقة كاملة من العلماء تعمل على إصدار النسخ المحققة للمؤلفين القدماء، ويقال إن المكتبة الابنة التى أسست فى معبد الإله سيرابيس أو بالقرب منه كانت تحوى النسخ المكررة من مقتنيات المكتبة الأم، وأن هذه المكررات كانت تفيد العلماء الذين يقومون بأعمال التحقيق، وأن بفضل عملهم الدءوب والحكيم وقدرتهم على مقارنة النسخ المكررة والخروج بالنسخة الأصلية للنص المكتوب قد وصل إلينا الكثير من مؤلفات الكتاب اليونانيين على الصورة التى نعرفها اليوم.

إن الاهتمام الأول للبطالمة فى مكتبة الإسكندرية كان المحافظة والفهم الصحيح للأعمال التى بقيت من الأجيال السابقة، وقد كان هذا مجالا جديدا فى البحث العلمى أطلق عليه (نقد النصوص) أو (نقد المصادر) ساعدهم على وجود هذا النوع من البحث توفر عدد من النسخ للعمل نفسه بالمكتبة، حيث سبب هذا التكرار إلى ظهور المشكلة البحثية وهى اختيار النص الصحيح والقراءة الصحيحة بين هذه النصوص فاستلزمت الدراسة بحثا مستفيضا ليس فى اللغة واستخدامها لدى المؤلف فحسب، ولكن فى تاريخ وثقافة العصر الذى وضع فيه النص، ومثال ذلك ما نشأ من خلاف بين اثنين من ألمع الدارسين لهوميروس وهما زينودوتوس وأريستارخس اللذان شغلا منصب رئيس المكتبة، وكانت نقطة الخلاف بينهما حول القراءة الصحيحة لكلمة فى افتتاحية الإلياذة.

إن إصدار النسخ المحققة كان من أهم الأعمال التى قام بها المحققون فى مكتبة الإسكندرية ومن أشهر هذه الأعمال المحققة :

* نسخة محققة من ملحمتى هومير الإلياذة والأوديسة وقد قام بالتحقيق مدير المكتبة فى ذلك الوقت زينودوت.

* كما صدر لزينودوت أيضا نسخة محققة من ملحمة هنديود (ولادة الآلة) وصدر له أعمال كثيرة أخرى كأشعار بيندار... إلخ.

برنامج النشر فى مكتبة الإسكندرية الجديدة.

من الضرورى أن يكون للمكتبة برنامجا للنشر يرتب أولويات النشر وحجمه وأنواعه... إلخ، ويخطط لميزانية خاصة به وأوجه صرفها، أى بمعنى أخر أن توجد لائحة للنشر بالمكتبة تنظم حالات المضمون والشكل والتوقيت لكل ما يراد نشره وتبعد المكتبة عن السير بالنشر فى طريق عرضى عفوى أى البعد عن عشوائية النشر.

ومن الملاحظ أن قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ الخاص بمكتبة الإسكندرية لم يشر إلى وجود إدارة للنشر رغم أن قرار رئيس الجمهورية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بشأن إنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية نص على أن للهيئة أن تنشئ مطبعة حديثة تزود بأحرف الكتابة الهيروغليفية واليونانية واللاتينية والعبرية والقبطية والعربية وغيرها، ومجموعة متكاملة للرموز والعلامات العلمية والرياضية، كما لها أن تنشئ ورشة لصيانة الكتب وترميمها وتجليدها وتقديم جميع التسهيلات للتصوير بأنواعه المختلفة، وهذا يعنى أنه لم يخطط لوجود إدارة للنشر، رغم أنه صدر بالفعل عن مكتبة الإسكندرية والإدارات التابعة لها بعض الإصدارات التى سمعنا عنها فى الجرائد والإعلانات منها على سبيل المثال.

* كتاب بعنوان (كليوباترا فى السينما : دراسة للديكور والأزياء) من تأليف الدكتور طاهر عبد العظيم، وذكر عن هذا الكتاب أنه أول حلقة فى سلسلة (دراسات سينمائية) التى تصدرها إدارة برامج الفنون فى مكتبة الإسكندرية والتى يشرف عليها الناقد السينمائى سمير فريد ويتولى تحريرها إبراهيم الدسوقى.

* تحميل معلومات عن بعض المخطوطات على قرص مليزر كشكل من أشكال النشر الإلكترونى تم إنتاجه بمعرفة قسم المخطوطات بالمكتبة.

وفى ظل هذا يمكننا التساؤل.

* كيف يتم النشر فى هذه الإدارات؟

* هل ستتولى كل إدارة بالمكتبة إصدار مطبوعاتها ؟

* هل هناك تخطيط ما للتنسيق بين هذه الإدارات ؟

* هل سيتم حصر ببليوجرافى لهذه الإصدارات أولا بأول، أم سوف تتفاقم مشكلة الحصر الببليوجرافى نتيجة عدم وجود إدارة موحدة للنشر كما يحدث الآن فى جميع الجامعات المصرية على سبيل المثال ؟

* هل يتم إيداع نسخ من هذه الإصدارات بالمكتبة ؟

* هل.....؟ هل.....؟

* هل.....؟ هل.....؟

التساؤلات كثيرة وتحتاج إلى تخطيط عاجل قبل افتتاح المكتبة وبدء تشغيلها الفعلى.

واقترح:

- أن تنشأ إدارة مستقلة للنشر تكون ضمن مجموعة الإدارات التى تتكون منها المكتبة.

- تتكون هذه الإدارة من وحدات أصغر، وحدة للتأليف ووحدة للتصنيع ووحدة للتوزيع.

- تتولى وحدة التأليف مهام الحصول على المؤلفات التى تنشر وعرضها على لجنة علمية للتحكيم ومراجعتها... وما إلى ذلك من النواحى الفكرية.

- أما وحدة التصنيع فتتولى الجانب التصنيعى ويتوافر بها إمكانيات الإنتاج التقليدى، أى الطباعة بكافة مراحلها إلى جانب الإمكانيات الإلكترونية للإنتاج غير التقليدى سواء على أقراص مليزرة أو مباشرة من خلال شبكة الإنترنت... أو ما إلى ذلك.

- وتتولى وحدة التوزيع إنشاء شبكة توزيع لهذا الإنتاج ليس فى مصر وحدها ولكن فى كافة أنحاء العالم.

النشر الذى يجب أن تتولاه مكتبة الإسكندرية الجديدة.

قصدت فى هذه الفقرات أن أضع اقتراحات لأنواع النشر أو للحد الأدنى من أنواع النشر الذى يجب أن تتولاه مكتبة الإسكندرية ولا أقصد أشكال النشر، فهذه الأنواع قد تصدر مطبوعة أو إلكترونية أو مليزرة... إلخ ومن أهم الأنواع التى أقترحها:

• الكتب الدراسية:

لقد نصت المادة الثانية من قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية على أن ينشأ بالمكتبة مراكز ثقافية وعلمية جاء منها معهد دولى للدراسات المعلوماتية ومعهد للخطوط، وذلك يعنى أن هذه المعاهد سوف يكون لها مناهج تدريسية، ومن المتوقع أن تكون على مستوى الدراسات العليا، أى إنها سوف تمنح دبلومات عالية ودرجات الماجستير والدكتوراه، وبالتالى تحتاج إلى كتب دراسية تغطى مناهجها الدراسية وتناسب مستوى طلابها.

• الرسائل الجامعية والبحوث العلمية:

المادة الثانية المشار إليها فى الفقرة السابقة حددت المراكز الثقافية والعلمية فى الآتى:

١ - معهد دولى للدراسات المعلوماتية.

٢ ـ مركز للتوثيق والبحوث.
٣ ـ متحف للعلوم.
٤ ـ معهد للخطوط.
٥ ـ متحف للمخطوطات.
٦ ـ مركز للحفاظ على الكتب والوثائق النادرة.

كما أنها تركت الباب مفتوحا لإنشاء أية مراكز إضافية، حيث نصت على أنه يجوز بقرار من رئيس الجمهورية إنشاء أو إضافة مراكز ثقافية أخرى.

ويعنى ذلك أنه سيكون نتاج نشاط هذه المراكز والمعاهد بحوث ودراسات، وكذا رسائل أكاديمية يجب نشرها والإعلام عنها وإلا فقدت جدوى دراستها.

• الدوريات:

الدوريات العلمية المتخصصة التى تصدر عن مراكز البحوث والمعاهد سابقة الذكر، حيث من المعروف مميزات الدوريات عن بقية أشكال أوعية المعلومات فى نشر البحوث والدراسات العلمية المتخصصة.

وكذلك الدوريات الثقافية العلمية المبسطة فى مجالات تخصص هذه المراكز البحثية وفى ثقافات حوض البحر الأبيض المتوسط، فمن حق كل فرد فى مصر وفى العالم أيضا أن يعرف معلومات مبسطة عن هذه الثقافة والحضارة

ويمكن للمكتبة أن تنشر أنواعا دورية أخرى مثل الأدلة والنشرات الإعلامية عن المكتبة ومراكزها التابعة لها أو عن مشروعات بعينها تتم داخل المكتبة، وكذا تقارير وإحصاءات دورية أو تقاويم سنوية.

• تحقيق كتب التراث:

من المفترض أن تقوم مكتبة الإسكندرية الجديدة بتجميع المخطوطات والكتب التراثية، وخاصة ما يتعلق منها بحضارات حوض البحر الأبيض المتوسط، والكثير من هذه المخطوطات والكتب لم يتم تحقيقها بعد، ويعتبر التحقيق ونشر هذا التحقيق دور أساسى يجب أن تحرص مكتبة الإسكندرية على متابعته.

• مطبوعات المؤتمرات:

وجود مركز للمؤتمرات ضمن وحدات المكتبة يحتم على المكتبة ضرورة الاهتمام بنشر مطبوعات المؤتمرات التى تعقد فى هذا المركز بجميع أشكالها، سواء مطبوعات ما قبل المؤتمر أو مطبوعات أثناء المؤتمر أو مطبوعات ما بعد المؤتمر.

• الكتب والكتيبات:

الشكل الأول لنشر الإنتاج الفكرى، سواء كان كتابا أى ٤٩ صفحة فأكثر أو كتيب أقل من ٤٩ صفحة، ويفضل أن تتبنى المكتبة إصدار هذه النوعية وتحرص على إصدار بعضها فى سلاسل تهتم كل سلسلة بموضوع من موضوعات المكتبة أو أحد مراكزها العلمية وتدخل فى نطاقها الموضوعى.

• الترجمات:

من وإلى اللغة العربية فمما سبق اتضح أن مكتبة الإسكندرية القديمة كان لها دور كبير فى الترجمة من وإلى اللغة اليونانية. فاليوم ونحن نعيد للمكتبة مجدها القديم يجب أن يحرص المسئولون عنها على تدعيم دور الترجمة والمحافظة على ريادتها فى هذا المجال. فلا تقل

مكتبة الإسكندرية الجديدة عن المكتبة القديمة فى أهمية احتلالها دور الريادة فى الترجمة لنقل ثقافات شعوب العالم إلى العالم العربى، ونقل الثقافة العربية بمختلف اللغات العالمية إلى العالم أجمع.

• المراجع:

يجب أن تنال هذه النوعية اهتماما كبيرا من مكتبة الإسكندرية الجديدة كما نالت اهتمام مكتبة الإسكندرية القديمة، ومن المعروف أن هذه النوعية تكون صعبة على قدرات الناشر التجارى، ولكن مكتبة الإسكندرية التى تهتم بنشر المعارف أكثر من اهتمامها بالكسب المادى يمكنها أن تنشر هذا النوع بسهولة ويسر، وأهم الأنواع التى يمكن أن تشملها هذه الفئة.

* الببليوجرافيات: سواء كانت قوائم بمقتنيات المكتبة أو قوائم بالإضافات أو قوائم موضوعية أو حتى قوائم حصرية بالإنتاج الفكرى لدولة أو موضوع على مستوى دولة... أو ما إلى ذلك

* المستخلصات والكشافات: ذلك الشكل المهم الذى يساعد على سهولة الاسترجاع للإنتاج الفكرى فى صوره المختلفة.

* الموسوعات ودوائر المعارف: فى موضوعات يحتاج إليها السوق المعرفى وخاصة ما يفيد حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط

* القواميس: فى اللغات التى يجب أن تحرص المكتبة على اقتناء مواد فيها وخاصة اللغات القديمة.

* التراجم: ولتبدأ بالشخصيات التى أثرت على حضارات البحر البيض المتوسط.

مراجع الدراسة:

١ ـ أحمد أمين سليم (١٩٩٠) المكتبة المصرية قبل مكتبة الإسكندرية. ـ مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية. ـ مج ٣٨ (١٩٩٠)

٢ ـ السيد محمود عبد العزيز سالم (١٩٦٠) الإسكندرية: فى: دائرة معارف الشعب. القاهرة: مطابع الشعب، ص ص ٣٢٦ـ٣٣٩. (كتاب الشعب؛ ٨٥).

٣ ـ جاك، س. (د. ت.) الحضارة العربية / تأليف س. جاك؛ ترجمة غنيم عبدون. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٤ ـ جلال غندور (١٩٩٦) مكتبة الإسكندرية القديمة: دراسة بيوجرافية. ـ عالم الكتب. ـ مج ١٧، ع ١٦ (نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٦) ص ص ٥٠٢ـ٥٢٦.

٥ ـ ديورانت، ول. (١٩٧١) قصة الحضارة/ تأليف ول. ديورانت؛ ترجمة محمد بدران. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٦ ـ ستيبتشفيتش، الكسندر (١٩٩٣) تاريخ الكتاب: القسم الأول / تأليف الكسندر ستيبتشفيتش؛ ترجمة محمد م. الأرناؤوط. الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب. ـ ٢٧١ ص (عالم المعرفة؛ ١٦٩)

٧ ـ سليم حسن (١٩٤٩) مصر القديمة. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٨ ـ شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٩٧) الكتب والمكتبات فى العصور القديمة. ط ١. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٣٤٣ ص. (مجموعة البيليوجرافيا التاريخية).

٩ ـ شعبان عبد العزيز خليفة (٢٠٠١) مكتبة الإسكندرية.... كتاب الجمهورية

١٠ ـ عبد الستار الحلوجى (١٩٨٥) لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

١١ ـ قانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١ بشأن مكتبة الإسكندرية. ـ الجريدة الرسمية. ـ ع ١٠ مكرر. (١٢ مارس ٢٠٠١).

١٢ ـ قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٨٨ بإنشاء الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية. ـ الجريدة الرسمية. ـ ع ٥١ (٢٢ ديسمبر ١٩٨٨). ـ ص ص ٣٧٩٥ ـ ٣٨٠٠.

١٣ ـ محمد حسين (١٩٤٣) مكتبة الإسكندرية فى العالم القديم. القاهرة : مطبعة الاعتماد.

١٤ ـ محمود الحامد (١٩٩٢) لماذا مكتبة الإسكندرية ؟ منار الإسلام. ـ س ١٧، ع ٨ (فبراير ١٩٩٢) ص ص ١٠٠ ـ ١٠٦.

١٥ ـ مصطفى العبادى (٢٠٠٠) مكتبة الإسكندرية القديمة : سيرتها ومصيرها. القاهرة : اليونسكو، ٢٤٨ ص

١٦ ـ هيسيل، الفرد (١٩٧٣) تاريخ المكتبات / تأليف الفرد هيسيل ؛ ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة. القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٥ ص (الأعمال الأساسية فى علوم المكتبات ؛ ١)

مواقع إلكترونية :

١٧ ـ أهداف مكتبة الإسكندرية (٢/ ٣/ ٢٠٠٢)
www.emore.org/library/general/alexlib

١٨ ـ عماد حسين (٢٨/ ١١/ ٢٠٠١) مكتبة الإسكندرية شروق أم غروب ؟ www.islam.online.net

19 - Bibliotheca Alexandrina.
www.snoarc.no/projects/alex.html

20 - Rising sun / Smithsonan Magazine.
www.smithsonianmag.si.edu/smithsonian / Issues02/apr02/alexandria.html